خِصام

للأستاذ محمود تيمور

— أأنتِ استدعيتني يا أماه ؟

— نعم يا « سلام » : استدعيتك فهلا حزرتِ لماذا ؟

فابتسمت « سلام » ابتسامة استخفاف وقالت :

— مطلقاً

— ولكنني أؤكد لك أنك تعرفين ، ويسوؤني منك هذا التجاهل المصحوب بالازدراء . وكنتُ مكافأتك لي وسعتي هذه الدنيا بأكملها . ولكنت الآن في أحسن زينة وأزهى ملبس أستعد لمقابلة خطيبي الجميل

— خطيبي ؟

— لا تثيري غضبي يا « سلام » . اذهبي واخلعي ملابس الركوب . إنها ملابس زرية لا تليق لمثل هذه الظروف . اذهبي وزيني شعرك وزيني نفسك

— ولكنني ذاهبة كما تعلمين لأقوم بنزهتي اليومية على ظهر فرسي « مبروكة »

— ألا تمكنك أن تتركي نزهتك يوماً واحداً : يوم عودة خطيبك من أوربا بعد غيبة ستة أعوام !

فلمعت عينا « سلام » ببريق الغضب . وقالت وهي تضرب قدماها بعصاها الصغيرة :

— لقد كررت على مسمعك يا أمي أنني لا أعرف لي خطيباً

— تعالى . تعالى اجلسي بجانبي برهة . برهة وجيزة . تعالى يا حبيبتي

جلست « سلام » صامتة بجوار أمها ، وروح الثورة ما زالت متأججة في صدرها . فاحتضنتها أمها وقبلتها . ثم قالت لها وهي تحاول الابتسام :

— أريد أن نتفاهم يا حبيبتي . هل التفاهم حرام ؟ أتشكين في حبي لك يا « سلام » ورغبتي في إسعادك ؟

— مطلقاً

— فإذا كنتُ قد اخترتُ « شوقي » زوجاً لك فلأني وجدته أفضل شاب يليق بك . إنه شاب غني ذكي حائز لأروع الشهادات . ألا تعلمين أن فتيات كثيرات يتقاتلن عليه ، وينتظرن عودته بفارغ صبر لينصبن له شباكهن ؟ ولنا كلمة ... !

— فلماذا نتركه لهن ؟ لماذا ؟ وهل نجد أحسن منه ؟

— ومن قال لك إنني أبحث عن زوج ؟

فنظرت إليها أمها نظرة جزع وألم ، وأخذت يدها وشدت عليها في تأثر ، وقالت في صوت مخنوق :

— إلامَ هذا العناد يا « سلام » ؟ وإلى متى تحيين هذه الحياة المملة : بعيدة عن المجتمعات ، بعيدة عن وسائل البهجة والمسرة . أتريدين تحطيم قلب أمك التي لم يبق لها في الدنيا سواك ؟ أليس

أملى الوحيد فى الحياة أن أراك مع زوجك وأطفالك سعيدة هانئة البال ؟ ... لماذا تريدين أن تحرميني هذه الأمنية يا ابنتى ؟

ورفعت يد ابنتها إلى فمها وقبّلتها قبلة حنو ورجاء ، واستأنفت قولها :

— لقد تقدّم لك أناس كثيرون من أشرف رجال البلد وأرفعهم ، فرفضتهم جميعاً ؛ رفضتهم بلا سبب . فلِمَ ذلك ؟ وأخيراً يعود « شوقى » ، قريبك ، وهو من لحمك ومن دمك ، وقد نشأ وتربّى معك فى بيت واحد ، يعود بعد غيبة طويلة فيجد منك الرفض والاهمال !

وتأثرت « سلام » بمنظر أمها ، فاحتضنتها وقبّلتها ، وقالت لها فى رفق :

— ولكنك يا أمى تتكلمين عن أشياء سابقة لأوانها . فهل خطبنى « شوقى » رسمياً ؟

— رسمياً . . . كلا . ولكن الجميع يعلمون أنه خطيبك . وكنا نتحدّث بذلك منذ كان بيننا — قبل أن يسافر إلى أوربا

فتجهّم وجه « سلام » بغتة ولم تجب . وخشيت أمها أن تسىء إليها من حيث لا تدرى . فلاطفتها وقالت :

— لا يسؤك كلامى يا حبيبتى

وقامت « سلام » تريد الخروج . فقالت لها أمها :

— لا تطيلى نزهتك يا حبيبتى . لا تنسى أنه سيحضر قبل الغداء . . . عليك أن تساعدينى فى ترتيب المائدة . أما أنا فذاهبة إلى المطبخ لعمل الشركسية

* * *

وعاد « شوقى » إلى الدار بعد غيبة طويلة قضاها فى ربوع أوربا يتعلم فى معاهدها ويستمتع فى مغانيها . عاد إلى دار الأسرة القديمة حيث قضى ريعان طفولته وشبابه . عاد إليها ليحيا حياة الاستقرار والعمل المنتج

نزل من السيارة ، ووقف أمام الباب يحدّق فيه . ذلك الباب الضخم الهرم ذو النقوش الأثرية . لن ينسى مطلقاً يوم خرج منه منذ ستة أعوام يطلب المجد وكأنه منتش بخمرة لذيذة تلهب دمه

. . . لم يحدث تغيير يذكر . كل شىء على حاله . فالبواب كما هو مشرق بابتسامته يحيّيه فى لغته المعتادة ، والبستانى يهرع إليه ويقبّل يده ، ويقدّم له زهر العنبر ، والحديقة على حالها مهملة بأشجارها الكثيفة وطرقاتها غير المستوية . . . وأخيراً حجرته ، أجل حجرته كما كانت ، لم يتغير شىء فيها . كأنه تركها بالأمس . إن « تسفير » العجوز لم تهمل إعداد القلة النظيفة المبخّرة ، والمنشفة المزهّرة . و ... وطغت عليه ذكريات الماضى الجميل فنظر حوله فى غبطة وقال :

— كل شىء على حاله يا « تسفير » ؛ فما أسعدنى بكم ! وأخذ يتحدّث معها : يسألها عن المنزل وأهله وما جرى فيه أثناء غيابه . سألها عن أشخاص كثيرين وأمور شتى . ولكنه نسى شخصاً لم يجر لسانه بذكره . فنظرت إليه « تسفير » نظرة استغراب وقالت :

— ولكنك لم تسألنى عنها ... ؟

— من تقصدين ؟

— هى يا سيدى . هى صديقتك الصغيرة

— ؟ !

— « سلام » يا سيدى

— أوه «سلام» : « كيف هى ؟ ألا تزال نحيلة ضئيلة كالسمكة المقدّدة :

— السمكة المقدّدة : ... إنها ملء العين والخاطر . سمن على عسل يا سيدى :

— أنت تبالغين . ولكن خبرينى : أما زالت ترتدى ميدعتها الزرقاء المرقشة ببقع الحبر ؟

— ما هـذا الكلام يا سيدى ؟ إنك تتحدث عن الصغيرة «سلام» التى لم تكن تبلغ الرابعة عشرة بعـد . أما الآن فهى غيرها بالأمس . إنها ترتدى الفساتين على آخر زى ، وتزين نفسها كعروس ليلة دُخْلَتها ...

— وأين هى ؟

— خرجت راكبة فرسها لتتنزه نزهتها اليومية

— راكبة فرسها ؟ ! أمر مدهش للغاية :

— هُنَاكَ يا سيدى : ليس هذا كل شئ . إنها تعزف على البيانو كأمهر العازفات ، وتتكلم الفرنسية كالبلبل . وتقرأ الجرائد ، وتفهم فى كل شئ

وسمع فى تلك الآونة صهيل فرس ووقع حوافرها على أرض الحديقة الصلبة . فهرعت « تسفير » إلى النافذة ثم صاحت مهللة :

— إنها هى !

وأطل « شوقى » من النافذة ؛ وما كادت عيناه تقعان على « سلام » حتى صاح مدهوشاً :

— أهذا ممكن !

ونزل « شوقى » ليستقبلها ، فرآها تترجل بالقرب من الباب ، فتقدم نحوها ومد يده وهو يقول :

— هالو « سلام » كيف حالك ؟

فأجابته فى لهجة عادية بلا حماسة :

— الحمد لله . وأنت ؟

ودُهش «شوقى» من لهجتها ، ولكن راعته نبرات صوتها . وأخذ يتأملها طويلاً ، فاذا هى فى قوام ممشوق وحركات رشيقة وشمائل حلوة ، فيها طراوة وجاذبية على الرغم مما يبدو عليها من إهمال

وناولت « سلام » اللجام للسائس وأصدرت له أوامرها ، ثم سارت متجهة ناحية السلام و « شوقى » سائر بجانبها صامتاً ، وقد أحسّ على الفور بشىء يحيره ويتعبه فيها . وأخيراً تكلم فقال :

— يخيّل إلى أن كل شىء على حاله فى هـذا المنزل لم يتغير ، سوى أمر واحد هو ...

وظهرت الست « امتثال » والدة « سلام » وكانت على أحسن هيئة ، مرتدية فستاناً منقوشاً منشى كأنه الورق المقوى . وشعرها يلمع من تأثير المكواة الحامية . تقدمت نحو « شوقى » فى تهلل ، وبسطت ذراعيها ، وقالت فى صوت متهدج :

— أهلا وسهلاً بابننا العزيز . أهلاً وسهلاً بابننا الحبيب . إن يوم عودتك ليوم عيد لنا عظيم :

وطوقته بذراعيها وقبلت رأسه . وسمعته يقول :

— إن سرورى برؤيتكم لا يقدر

ومسحت الست « امتثال » عينيها الدامعتين وقالت :

— لقد كنت أسأل عنك دائماً ولا يهدأ لى بال حتى أطمئن عليك

وتأملته طويلاً وقالت :

— ماشاء الله ! ماشاء الله ! ربنا يحمى لك شبابك يا ابنى

ووقع بصرها على « سلام » فاكفهر وجهها ، وقالت لها فى لهجة ثائرة مكتومة :

— أبهذه الهيئة تقابلين زوارك ؟

ثم التفتت سريعاً إلى « شوق » وقالت :

— لم تقصد « سلام » أن تظهر أمامك هكذا . لقد جمحت بها الفرس وضللتها فتأخرت فى العودة على غير رغبة منها ، فلم تستطع أن تغير ملابسها ...

فقالت « سلام » فى هدوء وهى تداعب شعرها :

— كلا يا أمى . لم تجمح بى الفرس ولم تضللنى .

فنظرت إليها أمها نظرة ملتهبة ولم تتكلم . وقال « شوق » وهو يبتسم :

— إن ركوب الجياد رياضة جميلة . وإنى أهواها

* * *

واحتجبت « سلام » بعد هذه المقابلة ، ولم تظهر إلا وقت الغداء . وكانت ترتدى فستاناً عادياً غاية فى السذاجة . ولم تغير زينتها . فثارت ثائرة أمها ، ولكنها لم تستطع أن تتكلم . والتفت « شوق » نحو « سلام » وقال فى لهجة خاصة :

— لقد أحسنت اختيار هذا الفستان يا « سلام » . إن لونه وتفصيله يشهدان بذوق سليم

فأجابته فى لهجة مؤدبة عليها مسحة الجفاء :

— أشكرك

وقالت « تسفير » العجوز :

— إنه من تفصيلها يا سيدى . ألا تعلم أن « سلام » خياطة ماهرة ؟

فقال :

— لقد كانت وهى صغيرة تجيد تفصيل الملابس لقططها . وطالما خاطت لى أزراراً ساقطة وزرقت فتوقاً فى ملابسى

ونظر إليها ، فابتسمت ابتسامة رسمية . وقالت تسفير :

— إنها كانت تفصّل وتخيط جميع (مرايلها)

فقال شوق :

— هذا صحيح . وعلى ذكر المرايل أذكر كيف أنى دلقت مرة الحبر على واحدة فأتلفتها تماماً . . .

ألا تذكرين ذلك يا « سلام » ؟

فقالت فى لهجتها الرسمية :

— لا أذكر

— كان ذلك قبل سفرى ببضعة أيام ، عندما جئت تطلبين مساعدتى فى حل بعض المسائل الحسابية ؛ ولم تجب . ثم حولت رأسها ناحية الباب وقالت للخادمة :

— متى تحضرين الأكل يا سيدة ؟

* * *

بدأ الأكل وانتهى ، و « سلام » لم تفتح فمها إلا لتجيب بنعم أو لا ، أو غير ذلك من الكلمات الرسمية ، وكان كل ذلك مصحوباً بابتسامة مغتصبة أو بشرة مقتضبة . وكانت أمها تغلى كالمرجل ، وطالما رمقتها بنظرة تأنيب حادة أو عتاب مر .

أما « تسفير » . فقد باءت بفشل مروّع فى محاولتها إضحاك « سلام » أو تحريضها على الكلام . وقد أنقذ « شوق » الموقف بحديثه المسلى عن سفره وحياته فى أوربا وما اعتزم أن يفعله الآن

وترك الجميع حجرة المائدة . وذهب « شوق » إلى الشرفة ليدخن سيجارة ؛ وانتحى ناحية فى ركن بعيد ، وأخذ يفكر فيما مر عليه الساعة من

مشاهد . وهو حائر لا يستطيع لها تفسيراً . وبينما كان على هذه الحال رأى « سلام » تدخل الشرفة . وما كادت عيناها تقعان عليه حتى توقفت عن السير وتأهبت للعودة وهى تقول :

— لا مؤاخذة !

وسار إليها « شوق » وقادها إلى الطنف وقال لها فى عتاب :

— أيزعجك مرآى إلى هذا الحد ؟

— أنت بلا شك متعب وتطلب الخلوة لتستريح !

— الحمد لله . هذه أول جملة طويلة أسمعها منك منذ حضورى

— ماذا تعنى ؟

— أتذكرين كيف كانت « سلام » الصغيرة تملأ المنزل كله بكلامها وضجيجها ؟

فابتسمت فى إعياء وقالت :

— إن « سلام » الصغيرة قد ماتت !

— ولكنها تعود إلينا أبهى وأعظم مما كانت .

وأمسك يدها يداعبها فسحبتها منه وخرجت . و « شوق » ينظر إليها فى حيرة

* * *

ومضى أسبوعان و « سلام » لم تغير مسلكها نحو « شوق » كأنها لا تبدل شيئاً من حياتها التى اعتادت أن تحياها . فلم تكن تطيل وقوفها معه ، بل تقتصر على السلام وتبادل الكلمات القليلة . وكان يحس بأنها تتجنب مرآه بقدر المستطاع ، مع محافظتها على الظاهر فى أدب ولباقة . ولم تستطع أمها بعتابها تارة وتوبيخها تارة أخرى أن تحملها على تغيير مسلكها . فتركتها وشأنها خشية أن تسوء العاقبة .

وتعجب « شوق » من أمر نفسه . إن اهتمامه بهذه الفتاة يزداد يوما بعد يوم . لقد عرف مواعيدها فهو يراقبها ويستمتع بمرآها وبحديثها القصير المبتور كلما استطاع إلى ذلك سبيلا . وهو بجوار الباب كلما خرجت للركوب وكلما عادت . وهو تحت نافذة حجرتها يصغى فى شوق وحنين لأنغام البيان التى تعزفها . وهو فى الحديقة وقت نزولها إليها عصراً لتجمع الزهور . يسير جيئة وذهابا فى الممشى الكبير وفى يده كتاب مطبق . ويبادلها التحية من بعيد أو من قريب . وكان أحب الأوقات إليه أن يذهب إلى مخبأ يطل على شرفة حجرتها حيث كانت تتمدد على مقعدها الطويل بعد خروجها من الحمام تجفف فى الشمس شعرها الأسود الطويل ، وقدماها العاريتان المشربتان بحمرة فاتنة تلمعان فى الضوء القوى . فكان يعجبه هذا المنظر الرائع ويشتهى أن يشبع عينيه منه طيلة العمر

وكانت « سلام » تعيش فى مملكة خاصة بها هى نفسها . لا أقارب ولا أصدقاء تزورهم أو يزورونها . أحب الأشياء إليها نزهة على ظهر فرسها فى الأماكن الطلقة الفسيحة غيطانا كانت أو رمالا ، أو كتاب تقضى الساعات تستمع إليه صامتة ، أو أمام « البيان » تفضى إليه ويفضى إليها بشكايات طوال . . .

هذا العالم الذى تعيش فيه « سلام » والذى يتراءى للناس ضيقاً مملولا أخذ يتكشف لشوق عن دنيا واسعة تزخر بالكنوز ؟ ولكنها ظلت دنيا بعيدة المنال عنه

وكره « شوق » هذا الغموض الغريب القائم بينه وبين « سلام » . فاستولت عليه فكرة جريئة اعتزم تنفيذها مهما يكلفه الأمر . .

نزل يوماً إلى الحديقة وكمن للفتاة يترصد قليلا

جاءت وأخذت تقطف الزهور . وكان المكان خالياً يغمره الصمت . وخرج « شوقى » من مخبئه ، وانسلّ إليها من الخلف فأمسك رأسها وأداره ناحيته بسرعة ، وطبع على فمها قبلة عميقة حارّة . ثم تركها . . .

فوقفت الفتاة برهة أمامه مصعوقة لا تتحرك ولا تتكلم . ثم احمرّ بغتة وجهها واحتقنت عيناها وقالت وهى ترتعش :

— أتجرؤ على ذلك ؟

وتهدّج صوتها وانحبس . ثم رآها ترفع يدها فى وجهه . ولكنها أزالتها ، واستدارت بسرعة وجرت صوب المنزل . ووقف « شوقى » يراقبها حتى اختفت . لقـــد رأى عينيها تلمعان بوميض غريب لم يره من قبل . وجرى خلفها حتى وصل إلى حجرتها ، فوقف بجوار الباب يتسمّع . فوجدها قد ألقت بنفسها على السرير واندفعت تبكى فى شدّة وحرارة ؛ فصبر عليها حتى انتهت من البكاء ، ثم دخل الحجرة فى خطوات بطيئة ، فرآها جالســة على السرير تجفّف بقايا دموعها . وما إن وقع بصرها عليه حتى أشارت له إلى الباب وقالت فى حدّة :

— اخرج ! !

فتقدّم نحوها وقال فى هدوء :

— ألا أستطيع أن أعلم سبب هذا الخصام ؟

فصاحت :

— خصام ؟ ! أى خصام ؟ ! . . .

— خصام أو جفاء . سمه كما تشائين

وجلس على مقعد بالقرب من السرير ، وقال فى حنو وإخلاص وهو يحدّق فيها تحديقاً عميقاً :

— ألم تدركى شيئاً من أمرى يا « سلام » ؟ ! ألم تكتشفى شيئاً مما يضطرم فى قلبى نحوك ؟ فلم تجب . وكانت تنظر أمامها ولا تتحرك .

فقال :

— لماذا لا تجيبين ؟

وأراد أن ينال يدها ، فأبعدتها عنه وهى تقول فى اصرار :

— دعنى واخرج . قلت لك دعنى واخرج !

فصمت برهة وهو متعجب متحير ، ثم قال :

— أإلى هذا الحد تكرهيننى يا سلام ؟

— أجل . أكرهك . أكرهك

— ولماذا تكرهيننى ؟ !

— لأنك أنانى ، بطال ، قلبك من حجر . . . أتذكر ليلة سفرك ؟

— اذكرها كلم بعيد

— أما أنا فأذكر حوادثها كأنها حدثت أمس . إن مشاهدها محفورة فى ذاكرتى

وصمتت برهة تستعيد ذكريات الماضى ، ثم قالت فى لهجة أقل حدة من ذى قبل :

— . . . كنتَ مشغولاً بترتيب أشيائك . تروح وتجىء وأنت تصفر مغتبطاً ، وكنتُ أتبعك صامتة وأنظر إليك فى تحسر . فالتفتَ نحوى بغتة وقلت فى حدة : « أجلسى هنا ولا تتبعينى » . فجلست وأنا لا أفهم سبب حدّتك ، وأحاسب نفسى فيما يكون قد بدر منها فكان سبباً فى غضبك . . . كانت عيناى لا تفارقانك وأنت تروح وتجىء مشغولاً دائماً بأشيائك وحقائبك ، أسمع صفيرك ذا الروىّ الواحد وأنا صامتة . وطالت جلستى . وأوشكت أن تقفل الحقائب ، فشعرتُ

بغتة بدافع قوى يدفعنى نحوك . ففقزت وتعلقت بك ، وقلت لك فى سذاجة بريئة : « لماذا لا تأخذنى معك ؟ »

فنظرت إلىّ فى سخرية وغيظ ، ثم دفعتنى بيدك ، وخرجت من الحجرة كالزوبعة . فى تلك اللحظة شعرت لأول مرة بأن غشاوة كانت تغشى عينى وأنها أخذت تنقشع . فخرجت أجرى إلى حجرة الفرش وجاست القرفصاء فى ركن من أركانها ، ولم يخفنى الظلام ؛ بل أنست به . لأنى كنت فى حاجة إلى الوحدة والتفكير . وأخذت أعرض حياتى معك على ضوء جديد ، فوجدتها غريبة جداً . . . أجل كانت غريبة جداً ، كنت أعتقد أننى لا أستطيع أن أعيش بدونك . كنت أنزل إلى الحديقة وانتظر عودتك من المدرسة . أعد الدقائق واللحظات . فما أكاد ألمحك حتى أهرع إليك مهللة باشّة فتستقبلنى فى جفاء . وتلقى على تحيتك كما يلقى السيد تحيته على خادمه . ثم تعطينى محفظتك المكتظة بالكتب فأحملها لك راضية إلى حجرتك . . . وكنت أحب أن أحادثك لأسليك فتصدنى وتشعرنى بأن حديثى سخيف لا يليق أن يسمعه شخص مثلك . وإذا حدثتنى فحديثك دائماً عن شخصك وعن مشروعاتك وعن النجاح الذى ينتظرك . . . دائماً عن نفسك ، دائماً . . . وكنت أصغى إليك فى اهتمام وشغف ، ولا أمل حديثك . وأتصورك وقد غدوت عظيماً من العظماء ، كقائد منتصر أو كملك كبير . ينظر الناس إليك نظرة الخشوع والاكبار ، وأنظر إليك أنا نظرة العبادة . وكنت أنتظر منك — فى ذلك الوقت — بالرغم من ذلك ، شيئاً ، شيئاً واحداً . كلمة ، أو أشارة ، أو ابتسامة ، تحمل المعنى الذى أطمع فيه . . ولكن لم يلفظ لسانك بتلك الكلمة ، ولم تبد منك هذه الاشارة . . . وفى يوم رحيلك ذهبت إلى البهو مبكرة واختبأت خلف إحدى الستائر . وانتظرت هناك طويلاً ، وأنا أرتجف وقلبى يدق بشدة . . . ورأيتك أخيراً وحولك أهل المنزل تودعهم ويودعونك . وتذكر اسمهم اسماً اسماً ، ولم أسمعك تسأل عنى أو على الأقل تبعث إلى بتحيتك . وخرجت وأنت متهلل الوجه . تصغر بذلك اللحن ذى الروى الواحد ؛ وخرج الجميع يتبعونك إلى الحديقة ، وأقفلوا الباب ، فلم يعد فى البهو سواى . فتركت مخبئى وهرولت إلى حجرة الفرش ، وجلست نفسى فيها طول اليوم ، أذرف الدمع صامتة . . . من ذلك اليوم كرهتك وكرهت « الرجل » فى شخصك . لقد كنت وقتئذ صغيرة جاهلة غبية ، يحق لك أن تقول ذلك . ولكن كان لى قلب ، وكانت لى أحلام ، فدست ذلك القلب ، وحطمت هذه الأحلام . أما أنت فقد تجمع فيك كل شىء : ذكاء ، وعقل ، وعزيمة . ولكن كان يعوزك شىء واحد وهو فى نظرى كل شىء . . .

فتمتم شوقى :

— . . . ولكن كان ذلك فيما مضى ، أما اليوم . . .

— لقد فات الأوان ، إن الهاوية التى بيننا سحيقة جداً ، ولا يمكن أن نتخطاها

وصمتت ، و « شوقى » ينظر إليها ولا يتكلم ، وطال صمتها . وأخيراً قام « شوقى » وتناول يدها فى سكون ، وطبع عليها قبلة عميقة ، ثم خرج بلا كلام !

* * *

ومضت الأيام ولاحظ الناس على « شوقى » تغيراً كبيراً : لقد قلّ كلامه ، وغاضت ابتسامته ، وكثر تفكيره ، وآثر الوحدة فى حجرته أو فى ركن ناء مختف فى الحديقة ، يقضى وقته يفكر فى كآبة . وكان يتجنب جهد إمكانه مقابلة « سلام » ، فاذا اضطر إلى لقائها سلم عليها فى أدب ، ولم يطل وقفته . أما هى فقد تحجبت وازدادت انطواء على نفسها . وكانت عيناها الواسعتان السوداوان قد أخذتا فى الذبول وانطبعت عليهما آثار البكاء ، تنطقان بحيرة وقلق ويأس دفين !

وفى ذات يوم من الأيام كان « شوقى » فى حجرته يرتب أشياءه فى حقائبه ، تساعده « تسفير » العجوز . وكان يعمل صامتاً ، ولا يجيب على أسئلة « تسفير » إلا فى اقتضاب ، والمرأة حائرة حزينة . وسمعها شوقى تقول :

— وإلى أين تسافر ياسيدى ؟

— خارج القطر

— أين ؟ ...

— لا أدرى !

— ولماذا عدت إلينا إذن ؟

— العلم عند الله

.... وفى الصباح الباكر تأهب المنزل لوداع « شوقى » ، وخرج الفتى إلى البهو وهو يحمل معطفه على يده . كان يسير متمهلاً ، ويسلم على من حوله فى وداعة عليها مسحة الكآبة . وقبل أن يتخطى الباب وقف والتفت حوله يؤمل أن يرى شخصاً معيناً بين الحاضرين ، فلم يجده ، ووقع بصره فجأة على إحدى الستائر وكانت تهتز ، فأخذ يحدق فيها وقلبه يخفق أهو الهواء يحركها أم هو شىء آخر ... ؟ وطالت وقفته كما طال تحديقه فى الستارة ، وقد تتابع خفقان قلبه ... ولكن الستارة سكنت ولم تعد تتحرك ... فحوّل وجهه نحو الباب وهو يوسع الخطى ...

محمود تيمور

ظهر كتاب :

الشيخ عفا الله

وقصص أخرى

تأليف الأستاذ محمود تيمور

يطلب من جميع المكاتب الشهيرة وبالأخص من مكاتب القاهرة الآتية : النهضة بشارع المدابغ رقم ١٥ . الانجلو بشارع قصر النيل رقم ٣٣ . الوفد بشارع الفلكى رقم ٥٣ . دار النشر بشارع عابدين بجوار سينما رويال . وثمن النسخة خمسة قروش

كذلك ظهر :

نشوء القصة وتطورها

ثمن النسخة قرش صاغ واحد